والت ديزني

واجه والت ديزني انتكاسة مدمرة في عام (1928م)، وهي ضربة كانت من الضراوة بحيث بدت مسيرته على حافة الانهيار؛ لأن صانع الرسوم المتحركة الذي كان له من العمر ستة وعشرون عامًا خسر أول إنتاج رسوم متحركة ناجح (أوزوالد الأرنب المحظوظ Oswald the Lucky Rabbit)؛ لأنه تخلى بتصرف ساذج عن حقوق الملكية في صفقة إنتاج مع موزعه في نيويورك، وبعد أن خرج صفر اليدين من هذه الكارثة، لم يغادر ديزني الميدان، وفي حقيقة الأمر الرجل الذي وصفه رسام الكاريكاتير السياسي البريطاني ديفيد لو بأنه: «أهم شخصية في فن الجرافيك منذ ليوناردو»، قد تعلم درسًا من خيبة الأمل الباكرة، وبعد سنة من ذلك الحدث، كان ديزني يفاجئ صناعة الترفيه بما يشبه العاصفة، ونظرًا إلى تسلحه بفهم شامل لحقوق الملكية الفكرية، وتمتعه بعبقرية طبيعية لإبداع الشخصيات التي لا تنسى وعوالم الخيال المسلية، فقد كان العقل المدبر وراء تأسيس إمبراطورية أعمال من نوع جديد.

وحيث إنه كان يرأس الأستوديو الخاص به، فقد وظف ليس فقط خياله ولكنه أيضًا ابتكر جوًّا يستطيع الآخرون أيضًا استعمال خيالهم فيه، وبدأ بميكي ماوس؛ الشخصية المرحة التي أصبحت ظاهرة عالمية، واعتمادًا على طيف واسع من قصص الأطفال وحكايات الجنيات، مثل بينوكيو وسنو وايت، وعن طريق إضفاء الطابع والعاطفة الإنسانية الحقيقية على شخصياته، فقد كان يخاطب اليافعين والأطفال على السواء، غير أن ديزني لم يعتمد فقط على مبيعات

obeikandl.com

التذاكر لجني الإيرادات؛ فقد استثمر إبداعاته ليحقق الفائدة التجارية العظمى منها، ووجد طرقًا للترويج المزدوج لشخصياته في أجهزة الإعلام الحديثة، وبعد أن بدا له أنه قد استغل وسائل التوزيع المتاحة جميعها، اخترع ديزني شيئًا جديدًا؛ إنه ديزني لاند.

كان والت ديزني رجلًا معقدًا، وليس مجرد (العم) اللطيف الذي كان يبدو في استضافة مسلسلاته التلفازية، وكان يسمح لنفسه بالعمل إلى درجة الإجهاد، ومع ذلك لم يصل قط إلى حدود طموحاته، وفي غضون نصف قرن تقريبًا، أنشأ مؤسسة فريدة في نوعها لجهة المفهومين التجاري والاجتماعي- المنطقي؛ لقد أدخل ديزني إلى مشروعاته كلها مفهومًا فطريًّا للخيال، بوصفه وسيلةً لإضفاء الضبابية على الحقيقة من أجل رؤيتها رؤيةً أكثر وضوحًا، وكان يحب أن يقول: «إن الخيال- أي الخيال الجيد المقبول- هو الحقيقة بعينها مع شيء من التحريف النزوي».

مخترع شاب يدخل صناعة السينما الباكرة

ولد والت ديزني في (5) ديسمبر/كانون الأول من عام (1901م)، حيث كان الولد الرابع لأب وأم من الطبقة المتوسطة هما إلياس وفلورا ديزني من شيكاغو، وكانت لأسرة ديزني أيضًا ابنة أصغر من والت، وكان الأب رجلًا عصبيًّا ومشاكسًا، وعندما انتقل بأسرته إلى مزرعة في ميسوري وأخذ يسوق أولاده كالعمال المستأجرين، هرب الابنان الأكبران، وفشل مشروع المزرعة بعد أربع سنوات، وانتقلت عائلة ديزني إلى مدينة كانساس، حيث اشترى إلياس محلًّا لتوزيع الصحف وشغَّل الولدين الباقيين (روي ووالت) في بيع الصحف، فكان يضربهما كثيرًا كما يمكن أن تشير إلى ذلك ممارسات الانضباط في السنوات الواقعة قريبًا من عام (1910م)، وغالبًا ما كان إلياس يفقد اتزانه، وكانت فلورا تواسي أولادها فيما كانوا هم يواسون بعضهم، وعندما بلغ والت العاشرة من عمره، هجر روي البيت أيضًا، وكانت طفولة والت مفعمة بالأوقات الممتعة في المزرعة وفي البيت في مدينة كانساس، غير أنها كانت تعاني الجروح العميقة التي تركتها تصرفات والده الخسيسة، والطريقة التي هجر بها أخواه الأكبران البيت.

وبوصفه رجلًا في طريقه لتحويل طفولته إلى سلعة حقيقية، كان والت ديزني غالبًا ما يشير إلى ذكريات مخاوفه وأفراحه الباكرة، ومثل كثير من الأطفال الذين يشعرون بالعزلة، كان والت يمضي الساعات في إبداع أصدقاء خياليين مستعملًا القلم والورقة، وعندما انتقلت الأسرة إلى شيكاغو، وجد منفذًا لهذه الملكة الواضحة، حيث أصبح محررًا فنيًّا مساعدًا في صحيفة مدرسة ماكينلي الثانوية، وأخذ ديزني يدرك بأن الخربشة يمكن أن تشكل شيئًا أكثر من مجرد نزوة، وذلك بمقايضة رسوم الكاريكاتير بحلاقة شعر مجانية.

في هذه الأثناء دخلت الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء، وعندما كان في السادسة عشرة من عمره، تطوع ديزني للعمل سائقًا مع فيلق سيارات إسعاف الصليب الأحمر الأمريكي، وكانت الحرب العالمية الأولى قد وضعت أوزارها عندما وصل إلى فرنسا؛ ولذلك قاد سيارات شحن أكثر من سيارات الإسعاف، وعندما استقرت به الأمور، استأنف رسم الصور الكاريكاتيريه بهدف تسلية أصحابه.

عاد ديزني إلى شيكاغو بعد انتهاء الحرب، واستقر نهائيًّا في مدينة كانساس، حيث كان أخوه الأكبر روي يعمل مصرفيًّا، وحاول أن يختط مجال عمل بوصفه رسام كاريكاتير، وعندما فشل في الحصول على عمل في صحيفة كانساس سيتي ستار، اختار أن يصبح رسامًا في شركة إعلانات محلية هي بيسمين- روبين، وفي الوقت نفسه، بدأ الشاب البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا في إظهار اهتمام أكبر بأفلام الرسوم المتحركة، وهي وسيلة جديدة كانت على وشك أن تحدث انفجارًا إذ اقترنت مع الشعبية المفاجئة لشخصية تدعى (القط فيليكس)، وفي عام (1920م)، وقع على عقد للعمل رسامًا بأجر (40) دولارًا في الأسبوع مع شركة دعاية أفلام كانساس سيتي التي أنتجت إعلانًا بالرسوم المتحركة زمنه ستون ثانية للعرض في دور السينما، وتعلم ديزني كيف يستعمل الأدوات الرئيسة للرسوم المتحركة وكاميرات توقف العمل التي كانت تلتقط سلسلة من الرسومات للإيهام بوجود حركة، وبعد أن تعلم ديزني أساسيات أفلام الرسوم المتحركة، أدرك أن لديه قليلًا من الرغبة لإنشاء الرسوم المتحركة لمجرد بيع المنتجات، وبعد أن شاهد القط فيليكس، أصبحت لديه رغبة في توظيف مواهبه من أجل الترفيه الخالص، وفي أثناء وظيفته في كل من بيسمين- روبين وشركة أفلام كانساس سيتي، عمل

ديزني عن كثب وثيق مع فنان آخر هو يوبي أيويركس، وفي عام (1922م)، أسس الاثنان شركة لاف -أو- غرام لصنع أفلام رسوم متحركة قصيرة، وبدلًا من ابتكار شخصيات جديدة، حصل الفنانان على مادة الموضوع من القصص المفضلة لدى الأطفال؛ مثل (جولديلوكس) و(الدببة الثلاثة)، غير أن موزعهما أفلس حتى قبل أن يعرضا أول أفلامهما، وبعد ذلك بدأ ديزني في البحث عن تطبيقات تجارية لبعض أفكاره الأخرى، واعتقد أنه اخترع شيئًا مختلفًا أصيلًا في ميدان الرسوم المتحركة عندما أدخل شخصًا حقيقيًّا إلى الرسوم المتحركة، وبالرغم من أن -في حقيقة الأمر- هذه التقنية وظفت من قبل، إلا أنها أدت إلى قبول تجاري لفيلم ديزني - آيويركس، وشرع ديزني بصنع (مغامرات أليس)، حيث تظهر طفلة ممثلة تحيط بها الرسوم المتحركة، وبالرغم من أن ديزني أنفق نقوده كلها قبل إتمام الفيلم، إلا أنه تمكن من التطلع إلى المستقبل.

في عام (1923م)، غادر ديزني مدينة كانساس متوجِّهًا إلى هوليوود؛ ذلك المكان الذي يُمنح في صانعو أفلام شباب عونًا ماليًّا لمشروعاتهم؛ كان في جيبه (40) دولارًا، ويحمل نسخة غير كاملة لفيلم مغامرات أليس، فاستقل قطارًا متجهًا إلى الغرب، وعندما سأله أحد المسافرين عن نواياه، أجاب: «أنا ذاهب لإخراج أفلام الرسوم المتحركة لهوليوود العظيمة».

حلم ديزني لم يكن بعيد المنال؛ لقد كانت صناعة السينما المزدهرة في هوليوود بحاجة إلى مواهب، وثمن الدخول إليها لم يكن أكثر من الخيال والطموح، ومع ذلك كان من الصعب على ديزني أن يضع قدمه على عتبة الباب، وعقب وصوله إلى لوس أنجلوس، أقام مع عمه روبرت وقام بجولة على الأستوديوهات، وتوصل سريعًا إلى أن المخرجين العظام لا يجري تشغيلهم بالضرورة من الشارع.

وبما أنه لم يستطع الحصول على عمل، فقد فعل ديزني ما فعله في ظل الظروف نفسها في مدينة كانساس؛ لقد أصبح رجل أعمال، وهو يقول في هذا الشأن: «عندما لا تجد عملًا، ابدأ بعملك أنت». كان والت يمتلك نوعين من الموجودات المحسوسة: شقيقه روي، وهو رجل أعمال متقد الذكاء كان يعيش في لوس أنجلوس ويتعافى من السل؛ ومغامرات أليس، وفي عام

(1923م) كتب ديزني إلى مارغاريت وينكلر، وهي موزعة ناجحة تتخذ من نيويورك مقرًّا لها، مدعيًا أنه: «قد اكتشف للتو شيئًا جديدًا وذكيًّا في ميدان الرسوم المتحركة! ... فكرة جديدة تخاطب الطبقات كلها وهي مؤهلة للفوز... تجمع بذكاء بين الشخصيات الحية والرسوم المتحركة». وقامت وينكلر بمشاهدة أليس، وتقدمت باقتراحات بشأن ما يمكن الاستفادة منها، وشجعت ديزني على إتمامها، وتبعًا لذلك أنشأ ديزني وروي ستوديو للرسوم المتحركة أسمياه ستوديو الأخوين ديزني في كراج يمتلكه عمهما روبرت، وفي أكتوبر/تشرين الأول عام (1923م)، طلبت وينكر ستة أفلام من مغامرات أليس مقابل (1,500) دولار لكل منها، وبهذا أصبح ديزني يمارس العمل التجاري فعليًّا، وعندما أطلق المسلسل، انضم يوبي أيويركس إلى المشروع، في بداية الأمر بوصفه رسام كاريكاتير يعمل بموجب عقد.

وإثر إكماله أفلام أليس، تزوج ديزني ليليان باوندس التي كانت تعمل في التحبير في الأستوديو، وتزوجت أيضًا موزعته مارغاريت وينكر في الوقت نفسه تقريبًا، وسلَّمت إدارة شركة التوزيع إلى زوجها الجديد شارل مينتز، فعمل مع ديزني لإبداع رسومات متحركة متعاقبة لأرنب على غرار القط فيليكس، ورسم ديزني الأرنب، وأطلق عليه مينتز اسم (أوزوالد الأرنب المحظوظ)، وبالرغم من أن أوزوالد أصبح يشكل أساسًا لسلسلة من الأعمال (القصيرة) التي استقبلت استقبالًا جيدًا، إلا أن النجاح نفسه الذي حققه ديزني كان مؤقتًا. ووافق ديزني بسذاجة على صفقة إنتاج ينتج بموجبها رسومًا كاريكاتورية، غير أن شركة مينتز بالإضافة إلى يونيفيرسال ستوديوز، تمتلكان الشخصية بموجب الاتفاق، وفي عام (1928م) عندما ذهب ديزني إلى نيويورك لتجديد عقده، واجهه مينتز بسيناريو صارم؛ إنه ويونيفيرسال لهما حق امتلاك أوزوالد، إنه قد تحدث سلفًا مع مجموعة من كبار فناني الرسوم المتحركة العاملين مع ديزني ليتركوا عملهم وينتقلوا للعمل معه؛ لقد أخرج الموزع فعليًّا مبتكر أوزوالد من المشهد، ونظرًا إلى اكتوائه بنار هذه التجربة فقد أقسم ديزني: «لن أعمل ثانية بتاتًا لصالح أي إنسان آخر».

ميكي ماوس يحقق الاستقلال

بعد المواجهة مع مينتز، استقل والت وليليان ديزني القطار وهما في حالة ضجر عائدين إلى كاليفورنيا، وفيما تحركت عربات القطار صوب الغرب محدثة جلبة، أدرك والت أن الأستوديو الذي أنشأه حديثًا سيتلاشى سريعًا ما لم يبتكر شخصية جديدة، وتحولت أفكاره مباشرة إلى الفئران، وكان يحب أن يقول لاحقًا: «لدي شعور خاص تجاه الفئران». ويضيف: «كانت الفئران تتجمع في سلة مهملاتي عندما كنت أعمل في وقت متأخر من الليل، وكنت أرفعها وأحتفظ بها في أقفاص صغيرة في مكتبي، وأحدها كان صديقي الخاص».

عندما رجع إلى كاليفورنيا، كان أول رسم ينتجه والت لشخصية فأر جديدة يشبه كثيرًا رسمًا كاريكاتيريًّا لنفسه؛ ولذلك فقد عمل يوبي آيويركس معه لإنتاج شيء جذاب؛ شيء -كما ظهر لاحقًا- يشبه أوزوالد بأذني فأر، وقررا إطلاق اسم ميكي ماوس على الحيوان القارض، وكان أول فيلم يمثل فيه ميكي ماوس رسومًا متحركة بعنوان الطائرة المجنونة، وهي تمثل الأحداث التعيسة التي كان ميكي يمر بها في إحدى الطائرات، وكانت تكلفة صنع الفيلم (1,800) دولار. وبعد وقت قصير أتبع والت ميكي ماوس بفيلم آخر هو جالوبين جوشو، غير أن فيلم ميكي ماوس الثالث، القارب البخاري ويلي هو الذي أحدث تغييرًا في ميدان الرسوم المتحركة وإلى الأبد.

بعد العرض الأول لفيلم مغني الجاز في أكتوبر/تشرين الأول من عام (1927م)، وهو أول فيلم يتم فيه تزامن الموسيقى مع الحركة، أصبح ديزني مقتنعًا بأن ميكي يجب أن يسمع كما يشاهد، وإذا كان في وسع آل جولسون أن يتكلم في الفيلم فإنه يمكن لميكي أن يفعل هذا كذلك، ونظرًا إلى أن ديزني أصرَّ على اندماج الصوت تمامًا مع الحركة، فقد أصبح فيلم القارب البخاري ويلي عملًا تفصيليًّا مدروسًا؛ إذ استأجر ديزني فرقة موسيقية كاملة لتسجيل الموسيقى، فيما تطلبت عملية الرسوم المتحركة المتطورة ما يزيد على (20,000) من الهياكل المصنوعة يدويًّا، وكانت الشركة قد أنفقت نقودها كلها، واضطر والت لبيع سيارته الرياضية التي كان يحبها كثيرًا، غير أن ديزني كان مستعدًّا للمقامرة، وكتب إلى روي من نيويورك يقول:

«أعتقد أن فرصة رجل مسن تقرع بابنا». وأضاف: «دعنا نرهن كل شيء بحوزتنا، ونقتفِ هذا الأمر على النحو الذي ينبغي». وقد بلغت تكلفة إنتاج القارب البخاري ويلي نحو (15,000) دولار، لكن الاستثمار أثبت جدواه، وعندما عُرِض لأول مرة في (18) نوفمبر/تشرين الثاني من عام (1928م) بوصفه مقدمة للفيلم السينمائي حرب العصابة، انطلق مارد تجاري يزأر، أو على الأقل يصرخ. عندما أنصت العالم إلى حديث ميكي ماوس الذي انطوى على درجة عالية من المهارة، كان في حقيقة الأمر يستمع إلى ديزني الذي تمكن من تقديم صوت الفأر على نحو عالي الطبقة بصورة مصطنعة.

وبمساعدة جهاز إعلامي ذكي، حقق ميكي ماوس النجاح في ليلة واحدة، بفضل التقارير الموغلة في الإطراء التي بعث بها الصحفيون الذين دعوا لحضور العرض الأول، وما لبث ميكي أن أصبح هوسًا وطنيًّا وليس فقط من قبل الأطفال. وبنجاح عرض القارب البخاري ويلي، اشتد الطلب على ديزني، وبدأ بتقديم عروض جديدة لميكي ماوس بمعدل عرض لكل شهر، وكانت هناك أستوديوهات عدة، بما فيها يونيفيرسال، على استعداد لتوزيع عروض ديزني أو حتى لشراء الشركة برمتها، ولكن ديزني الذي كان غالبًا يعمل حتى الإرهاق، لم يكن لديه الاهتمام في بيع الشركة، وكان يقول: «أريد أن احتفظ بشخصيتي». وحاول أن يتحايل على نظام الأستوديو، ويوزِّع رسومه إلى المسارح المستقلة، لكنه وجد أنه بالرغم من أن فيلم ميكي كان يحقق ربحًا، إلا أن جزءًا من هذه النقود فقط كان يأخذ طريقه إلى جيب ديزني.

في نهاية المطاف، وبعد سبع سنوات في هوليوود، انصاع ديزني في عام (1930م) وتوصل إلى صفقة مع أحد الأستوديوهات؛ حيث وقع اتفاقية مع كولومبيا بيكتشرز يدفع بموجبها (7,000) دولار عن كل فيلم يتم توزيعه؛ وكان الطرفان يقتسمان النقود، لكن ديزني احتفظ بحقوق التأليف والنشر، وقال في عام (1948م): «ميكي ماوس بالنسبة إليَّ هو بمثابة رمز الاستقلال». وأضاف: «حيث إنه ولد من رحم الضرورة، فإن الصديق الصغير حررنا فعليًّا من الهموم المباشرة؛ لقد وضع في متناول أيدينا الوسائل التي مكنتنا من توسيع مؤسستنا لتصل إلى ما وصلت إليه الآن، ولتوسيع مجال الرسوم المتحركة لتصل إلى مستويات ترفيهية جديدة».

obeikandl.com

تحويل فأر إلى مركز قوة تجاري

وزَّعت كولومبيا رسوم ديزني الكاريكاتيرية في أنحاء العالم كلها، حيث أصبح ميكي ماوس في عام (1930م) وبسرعة ظاهرة عالمية، وكان الإيطاليون يشيرون إليه بكلمة (توبولينو)؛ والإسبان يدعونه (ميجويل راتونسيتو)؛ وفي السويد يطلقون عليه اسم (مس بيغ)، وفي هذا الشأن قال ديزني في عام (1961م): «حاولت في بعض الأحيان معرفة لماذا كان ميكي يخاطب العالم كله، وكل واحد حاول أن يكتشف ذلك». وأضاف: «حتى الآن وبحسب ما أعلم، لم يستطع أحد معرفة ذلك؛ إنه صاحب جميل لم يؤذِ أحدًا قط، ويدخل في ورطات لا بسبب خطأ ارتكبه، ولكنه يستطيع الخروج على الدوام مبتسمًا».

لم يمضِ وقت طويل قبل أن يدرك ديزني النتائج المحتملة لعمله الإبداعي فيما بعد الشاشة الفضية، ونتيجة للشعبية التي حصل عليها من نجوميته، أعربت شركات عدة عن استعدادها للمساعدة على تسويق ميكي، لكن ديزني كانت لديه أفكار معينة، وفي وقت كانت (الوسائط المتعددة) على وشك دخول قاموس الأعمال الأمريكي، فهم ديزني جوهر القضية، وتحرك مباشرة لتعزيز صورة الفأر وتوسيع مجال عرضه، وفي عام (1930م) نشر ديزني كتاب ميكي ماوس، الذي بيعت منه (97,938) نسخة في سنته الأولى، وتوصل إلى اتفاقية مع كنج فيتشرز لتطوير الرسومات الفكاهية الخاصة بميكي ماوس التي حدت بالشركة لتشجيع تكاثر نوادي الميكي ماوس التي أخذت تنتشر في الولايات المتحدة وفي الخارج.

بدا فأر الرسوم المتحركة وكأنه يحرز صفات النجومية، ونتيجة لذلك أصبح ميكي باحثًا عن الشهرة، وفي عام (1932م)، استأجر ديزني رجل الأعمال كيه كامن من نيويورك، وكلفه باكتشاف السبل الكفيلة باستثمار جاذبية ميكي التجارية، وفيما كان ترخيص المنتجات والتكنولوجيا يشكلان ممارسة عادية نسبيًّا، امتطى ميكي هذا المفهوم دافعًا إياه إلى آفاق جديدة، وكان أول عمل يقوم به كامن هو ترخيص شركة منتجات الألبان الوطنية من أجل صنع أكواز بوظة ميكي ماوس؛ حيث باعت الشركة نحو (10) ملايين كوز في الشهر الأول.

بحلـول نهاية عام (1932م)، كانت شـركات تتراوح من هيئة المذيـاع الأمريكية إلى جنرال فودس تساعد في بيع الفأر، حيث تلقى ديزني على وجه العموم نحو (5) بالمئة من سعر الجملة الخاص بالمنتجات المرخصة، وخلال سنته الأولى في الشركة تمكن كامن من تحصيل إيرادات للشركة بلغت (300,000) دولار تقريبًا، أو ما يعادل ثلث إيراداتها، وكان أكثر المنتجات ديمومة لهذه الاتفاقيات الباكرة هو ساعة يد ميكي ماوس، إذ بلغت مبيعات هذه الساعة التي ابتكرتها شركة إنجرسول- ووتربري في عام (1933م)، (2,5) مليون ساعة في أول سنتين.

يبدو أن فرصة الرجل المسـن التي سـمعها والت تدق الباب مع أول خطاب لميكي ماوس، إذ أخذت تركل الباب وتخلعه بانطلاق المسلسل، ونتيجة لذلك حاول ديزني أن يذهب بعيدًا وذلك بعرض فيلم لميكي ماوس كل شـهر، واستغلال الفرص التجارية المتاحة في الاتجاهات جميعها، غير أنه تعرض لانهيار عصبي؛ فقد وجدته زوجته في حالة غيبوبة، وعندما استأنف العمل بعد إجازة طويلة، كان بناء الشركة يستبد به أكثر من أي وقت مضى.

مكن ارتفاع الإيرادات في أوائل الثلاثينيات أسـتوديو والت ديزني من الاسـتثمار في تحسين نوعية الرسوم المتحركة، وفي الوقت الذي استغلَّ المرخص لهم شخصياته تجاريًّا، أوضح ديزني أن أفلامه لا تشكل منتجات تجارية فقط، ولكنها تمثل نمطًا جديدًا من الفن يستحق الاحترام، وتبعًـا لذلك كان أسـتوديو والت أول أسـتوديو يؤسـس المدرسـة الخاصة به في عـام (1932م)، فقد درَّب ديزني الشباب على أساليبه في ميدان الرسوم المتحركة، وعن طريق حشد أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا صناعة السـينما، زوَّد ديزني متدربيه بأجود المواد لتوظيفها في عملهم، وفي تلـك السـنة عرض ديـزني فيلمًا باسـم الأزهـار والأشـجار، وبمصاحبة موسـيقى شـوبير ومندلسـون، كان أول فيلم رسوم متحركة يُصوَّر باسـتعمال طريقة التصوير بالألوان الحديثة، والذي فاز بأول (48) جائزة أوسكار.

كانـت النوعية المحسـنة القادمة من أسـتوديو ديزني واضحة في مسلسـل جديـد أطلق عليه اسـم السـمفونيات السـخيفة، وأنتـج اعتمادًا علـى مفهوم أن الحـوار لا ضرورة لـه؛ إذا وُظِّفت الموسيقى توظيفًا فاعلًا في الرسوم الكاريكاتورية، وفي عام (1934م)، عرض فيلم يتبع سلسلة

السمفونيات السخيفة أطلق عليه اسم الدجاجة الصغيرة الحكيمة، أُطلقت فيه الشخصية النجومية الثانية الطويلة الأمد لديزني تحت اسم (البطة دونالد)، وأثبت النجاح التجاري الذي حققه ديزني أن في وسعه أن يضاعف أرباحه بابتكار مزيد من الشخصيات التي ستصبح ملكية خاصة له؛ ولذلك طوَّر بالتعاون مع الفنانين العاملين معه جوقة مؤلفة من البطة دونالد والكلبين بلوتو وجوفي، ودعمًا للقائمة المتنامية رفع ديزني جدول رواتبه إلى (187) في عام (1934م)، ولأنه كان ينظر إلى الأستوديو الخاص به على أنه (مصنع للأفكار)، فقد عَدَّ الحجم ميزة؛ يقول ديزني الذي كان يعمل جنبًا إلى جنب مع مجموعة من المؤلفين وكتبة النصوص والملحنين:«لا نستطيع تحمل نضوب المادة القصصية». ويضيف: «في الوقت الذي تنمو فيه مؤسستنا الإبداعية من ناحية الحجم وتزداد مقدرة موظفيها، فإن تدفق الأفكار يزداد حجمًا ونوعية».

وبالرغم من تكاثر الشخصيات الجديدة، فإنه كان من الواضح أن ميكي لا يزال يحتل المركز الأول في قلب سيده؛ ولذلك ركَّب ديزني ساعة ميكي ماوس على جدار مكتبه، وطبع صورة الفأر على شيكات الشركة، وقد تحدث الرجل الذي كان ميكي يحمل صوته عن ابتكار هذه الشخصية وكأنها إنسان، وفي هذا الشأن قال ديزني عام (1935م): «يبدو أن الزميل الصغير يكسب أصدقاء بصرف النظر عن العرق أو اللون أو الحدود الوطنية». وبالفعل كان هذا الفأر الشخصية الأبرز بعد الإمبراطور في اليابان؛ حيث كان يطلق عليه اسم (ميكي كوشي)، ناهيك عن أن مبتكره؛ ديزني، أصبح رجلًا مشهورًا عندما سافر إلى إنجلترا في عام (1937م)، وتناول طعام العشاء مع ملكة بريطانيا وقابل إتش.جي.ولز، وتلقى في السنة اللاحقة درجة فخرية من جامعتي هارفارد وييل، وكان في وقت من الأوقات الخط الفاصل بين المبتكر والنجم غير واضح إلى أن اختفى تمامًا، وحتى عندما تسلم ديزني جائزة من عصبة الأمم في باريس، تحدث بصوت ميكي ماوس.

obeikandl.com

سنو وايت يفتح الطريق
إلى أفلام الرسوم المتحركة الروائية

في عام (1934م)، قرر ديزني أن يفعل شيئًا لم يفعله شخص آخر في هوليوود؛ إنتاج فيلم من الرسوم المتحركة بالطول الطبيعي، وكان موضوع الفيلم الثلج الأبيض والأقزام السبعة، وصعد ديزني بهذا العمل إلى مستوى جديد من الرقي صاحبه إحساس أكبر بالحقيقة، حتى إنه في إحدى الحلقات استأجر راقصة لتظهر في ملابس الرقص، صوَّرها ثم أعاد إنشاء حركاتها حركة فحركة، وحددت ميزانية الفيلم أصلًا بمبلغ (250,000) دولار، إلا أن تكاليف الفيلم تضاعفت بسرعة، وذلك يُعزى جوهريًّا إلى المعايير الصارمة التي كان ديزني يطبقها، ورسم فنانو الرسوم المتحركة (250,000) صورة منفصلة، فيما استعمل المصورون السينمائيون آلة تصوير متعددة المستويات تعتمد على خلفية متعددة الطبقات؛ وذلك بهدف ابتكار وضع أكثر قربًا لحياة الإنسان، ولما تجاوزت التكلفة الكلية للفيلم المليون دولار، أعرب مصرف أمريكا (وهو الممول الرئيس لديزني) عن قلقه، وعرفت التكلفة باسم (حماقة ديزني) التي جلبت عليه سخرية مجموعة من المشككين؛ يستذكر ديزني هذه اللحظة بالقول: «كانت التوقعات تشير إلى أنه لن يجلس أحد لمدة ساعة ونصف ليشاهد رسومًا متحركة». ويضيف: «لكننا قررنا أنه توجد طريقة واحدة لعمل فيلم الثلج الأبيض بنجاح، وهي أن نستغل إمكاناتنا كلها ونتمَّ العمل، ولن تكون هناك مساومة على النقود أو المواهب أو الوقت». كان العرض الأول لفيلم الثلج الأبيض والأقزام السبعة في (21) ديسمبر/كانون الأول من عام (1937م)؛ وقد قال ديزني بابتهاج: «علية القوم كلهم في هوليوود خرجوا لمشاهدة فيلمي». وفي طول البلاد وعرضها، خرجت الجماهير إلى دور العرض، وفي وقت قياسي تمكن فيلم الثلج الأبيض من استرداد تكاليفه، متخطِّيًا مبلغ (8,5) مليون دولار في عرضه الأول. (أعيد عرضه في دور العرض في أوقات منتظمة منذ ذلك التاريخ، محققًا مزيدًا من العوائد). وفي عام (1939م) نال هذا الإنتاج جائزة الأوسكار الخاصة، وهي تمثال كبير تحيط به سبعة تماثيل صغيرة، وقد قدَّمتها الممثلة شيرلي تمبل، ومرة أخرى لم يسمح ديزني لجاذبية الفيلم التجارية بأن تظل

محصورة في دور العرض، وتضمن الفيلم أغاني أخاذة عدة، بما في ذلك (أطلق صفارتك أثناء عملك) التي جرى تسويقها بتسجيلاتٍ منفردة.

لقد شجع هذا النجاح والت وأخاه روي الذي كان يعمل نائبًا لرئيس مؤسسة والت ديزني للإنتاج، على اتخاذ قرار بإنفاق (100,000) دولار لشراء (51) هكتارا من الأرض في بوربانك، كاليفورنيا، وبنيا أستوديو حديث للرسوم المتحركة على هذه الأرض، وكان والت يحب أن يسميه «البيت الذي بناه الثلج الأبيض». وقد خُطِّط له لأن يكون بيئة عمل مثالية بحسب نظريات ديزني العديدة، ومن بين أشياء أخرى كان يحب الأشجار والغرف الصغيرة والطاولات (لا المقاعد)؛ وكان المشهد العام يتعلق بقرية، ولكنها مزدحمة.

لقد أشرف ديزني الذي أصرَّ على أن يدعى والت من قبل موظفيه كلهم، عن كثب على هذا العمل الإبداعي، بالرغم من أنه لم يُنفِّذ شخصيًّا رسومات منذ منتصف العشرينيات، وكان الجو الذي أشاعه في الأستوديو تعاونيًّا- وإن لم يكن متجانسًا، وكان يسمح لطاقم موظفيه المبدع بالغدو والرواح من دون تحديد ساعات العمل، ويزودهم بمعدات حديثة وبأفضل الموارد، وبالرغم من ذلك فقد كان يُرهب جانِبُهُ؛ يقول شارل شوز (كاتب ديزني) في مذكراته: «ذات يوم، ركبت مصعد الأستوديو في طريقي إلى الدور الثالث، وعلى نحو غير متوقع دخل ديزني المصعد إلى جانبي، وخشية أن أتلفظ بشيء لا يعجبه، ضغطت على الزر الذي يحمل رقم (2)، وهربت من الباب بمجرد انفتاحه -قبل وصولي إلى هدفي بدور كامل- فقط لأتجنب الرئيس».

في هذا الأستوديو الذي يشبه الحرم الجامعي، كان ديزني يكرس جل اهتمامه لعمل الرسوم المتحركة الروائية، وكلف فيلمه الثاني ذو الطول الطبيعي بينوكيو (2,6) مليون دولار، وقد أعد له إعدادًا مدروسًا أكثر من الثلج الأبيض، وأجبر ديزني طاقمه على عمل (175) نموذجًا مختلفًا عن بينوكيو قبل أن يعثر على النموذج الذي أراد، غير أنه كانت هنالك نتائج لمثل هذه المعايير المكلفة، وبالرغم من الشعبية التي أحاطت بمعظم أفلامها، إلا أن شركة إنتاج والت ديزني كانت تعاني ديونًا كثيرة في أواخر الثلاثينيات؛ بسبب ارتفاع كلفة الإنتاج ودخولها في صفقة توزيع عرجاء أخرى، وكانت هذه المرة مع آر.كي.أو، وأيضًا بسبب إنشاء ديزني لأستوديو في بيربانك كلف (3,8) مليون دولار، وبحلول عام (1940م) كانت الديون

المتراكمة على الأستوديو قد بلغت (4,5) مليون دولار، وفي محاولة لتخفيض هذا الدين طرحت الشركة اكتتابًا عامًّا في أبريل/نيسان من عام (1940م)، فباعت ما قيمته أربعة ملايين دولار من الأسهم.

لقد مكن تدفق الأموال ديزني من تخفيض الدين ومساعدته على تمويل إنتاج ثلاثة أفلام روائية أخرى، هي: بينوكيو (1940م)، وفانتازيا (1940م)، وبامبي (1942م). أما فانتازيا، وهو أكثر أفلام ديزني الروائية طموحًا، فلم يكن يحتوي على حوار باستثناء سرد تاريخي بين الفصول؛ وكان يعرض رسومًا متحركة من دون كلام مرتبطة بأعمال كلاسيكية مثل طقوس الربيع من تأليف سترافينسكي،وليلة على جبل أجرد من تأليف موسورجسكي، وقد تكلف فيلم فانتازيا (2,28) مليون دولار، وكان أول فيلم روائي بطول طبيعي يظهر فيه ميكي ماوس. وفي معرض إصراره على عدم التوفير، كلَّف ديزني قائد الأوركسترا الشهير ليوبولد ستوكوسكي لاختيار الموسيقى وتنسيقها مع الرسوم المتحركة، وبالرغم من أن فانتازيا حظي بإطراء من النقاد إلا أنه لم ينجح في شباك التذاكر، وكان هذا أيضًا مصير بينوكيو وبامبي.

وبالرغم من عدم مجاراة أي من هذه الأفلام للثلج الأبيض من حيث النجاح، إلا أنها بالتأكيد ركزت الانتباه على موهبة والت ديزني الخارقة وإبداعه المستمر، وإذا وضعنا الأميرات الجميلات والأمراء ذوي الوسامة جانبًا، انطوى فيلما بينوكيو وبامبي على مغازي تبعث على القلق وعلى نتائج مخيفة، حتى إن بعض النقاد صنفوا بامبي على أنه فيلم رعب؛ وذلك لتصويره للغابة ولخوف الحيوانات من الصيادين وإطلاق النار. ومن خلال إعادة العرض تمكنت الأفلام الثلاثة من استرجاع تكاليف الإنتاج، وفي نهاية المطاف أكثر من ذلك بكثير، غير أن ديزني تمكن من تحقيق حلمه، وبطريقته الخاصة: لقد كان مخرجًا عظيمًا؛ قال بشأن فيلم فانتازيا عام (1940م): «ليس صحيحًا أنني بدأت مشواري بهدف كسر التقاليد التي تحيط بصناعة السينما». وأضاف: «غير أنه إذا لم يُحرِّر بعض الناس أنفسهم من مواقفهم السابقة تجاه الأشياء الجديدة، فإن صناعة السينما لم تكن لتبلغ ما بلغته الآن... بعض الناس أصبحوا في منتهى الغباء».

التنويع في الحرب والسلم

قبل نشوب الحرب العالمية الثانية في عام (1939م)، كان نحو (45) بالمئة من دخل إنتاجات شركة والت ديزني يأتي من الخارج، غير أن الحرب أدت إلى انقطاع هذا التدفق، وفي أعقاب قصف بيرل هاربر، وصلت الحرب مباشرة إلى أستوديو ديزني في بيربانك، وعندما صادر الجيش الأمريكي معظم الأرض لاستعمالها مركز خدمات للدفاع عن مصنع لوكهيد بالقرب من الأستوديو ضد أي هجمات معادية، وفي معظم عام (1942م) كان الأستوديو يخضع للقيود. وبعد مغادرة الجيش أُغرق ديزني بالأعمال الحكومية التي اتخذت صورة التدريبات وصناعة الأفلام الدعائية، وبالطريقة نفسها التي وضع فيها ديفيد سارنوف الإمكانات التكنولوجية لمؤسسة المذياع الأمريكية في خدمة الأمة، فإن ديزني جند ثمار خياله لخدمة الجهد الحربي.

وبالإضافة إلى إنتاج أفلام تعليمية بالرسوم المتحركة، ابتكر ديزني (الروح الجديدة) التي من خلالها تحدثت البطة دونالد عن الحاجة إلى دفع ضريبة الدخل في وقتها، وعندما انتقد وزير الخزانة هنري مورجنتاو الابن هذا المضمون لأنه كان يتوقع أن يرى شخصية إنسانية أكثر احترامًا تمثل دافع الضرائب العادي، استشاط ديزني غضبًا، قائلًا: «لقد أعطيتكم البطة دونالد، بالنسبة إلى الأستوديو الذي نملك، هذا يعادل إعطاءكم كلارك جابل من نادي أم.جي.أم لكبار الممثلين».

وفي أثناء الحرب، ابتكر ديزني شارات هزلية لمختلف الوحدات العسكرية، قال بهذا الشأن: «لقد تعلمنا هنا المعنى الحقيقي للتنوع». وفي يوم إنزال النورماندي (6) يونيو/حزيران من عام (1944م)، كان ميكي ماوس يمثل إحدى كلمات السر الرسمية؛ أصبحت هذه الشخصية جزءًا لا يتجزأ من الثقافة الوطنية الشعبية لدرجة أن الحرب كانت بحاجة إليها.

وفي هذا السياق جاء الفيلم الروائي الترويجي التجاري الذي أنتجه الأستوديو في أثناء الحرب عن القاذفات بعنوان النصر من خلال القوة الجوية كفيلم روائي بالرسوم المتحركة، وأخفق موضوعه في مخاطبة الشعب الذي أنهكته الحرب، وعندما تلاشت سوق الأفلام التعليمية المعدة للحرب بعد انتهاء المعارك، كان الأستوديو يعاني ديونًا، وقرر ديزني أن ينتج

نوعًا جديدًا من الأفلام الوثائقية التي توظف شخصيات حقيقية، كأفلام الترفيه، بالإضافة إلى تشكيلة من الأفلام الروائية بالرسوم المتحركة، ولأن حيوانات برية كانت تقوم بالأدوار، فقد كانت الأفلام الوثائقية في مسلسل (مغامرة في الحياة الحقيقية) تنتج بتكلفة أقل من إنتاج أفلام الرسوم المتحركة، وفي عام (1948م) وهي السنة التي بيعت فيها ساعة ميكي ماوس بخمسة ملايين، أطلق ديزني فيلمه الأول من مسلسل جزيرة الفقمة، وفاز الفيلم الذي يصور حياة حيوانات الفقمة المرحة في جزر بريبيلوف في ألاسكا، بجائزة الأوسكار لأفضل فيلم وثائقي وشكل مفاجأة في شباك التذاكر، وأتبع ديزني هذا الفيلم سريعًا بمسلسل من أفلام وثائقية عن الطبيعة يبلغ طول كل منها ثلاثين دقيقة.

بحلول عام (1953م)، كان ديزني قد أمضى ثلاثين سنة في هوليوود؛ لقد اكتسب شهرة لنجاحه في النهوض بالرسوم المتحركة إلى مرتبة فن حقيقي، فكان لذلك موضع إعجاب من قبل صانعي الأفلام، ونال الثناء من قبل أولياء الأمور، وبطبيعة الحال أحب الأطفال (ديزني) وطريقة سرد القصص الشائقة التي كانت تمثلها هذه الكلمة، غير أن شركة ديزني للإنتاج استمرت في التآكل ماليًّا، وإحدى الخطوات التي اتخذت في الاتجاه الصحيح كانت تأسيس شركة توزيع تابعة في عام (1953م) تحت اسم (بيونا فيستا)، لتكون بديلًا للعلاقة الواهنة مع آر.كي.أو؛ لقد سارت عملية التوزيع من الداخل على نحو مُجدٍ بالنسبة إلى ديزني، ولأول مرة تمكن الأستوديو عمليًّا من الاحتفاظ بالنقود التي كان يكتسبها.

في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، بدأ ديزني ببيع إنتاجه إلى جهاز توزيع يتطور بسرعة: إنه التلفاز، وبعد القيام بعروض تلفازية تجريبية عدة، وقع ديزني عقدًا حصريًّا طويل المدى مع شبكة إيه.بي.سي، وفي عام (1954م) نُفِّذ عرض (ديزني لاند) التلفازي لأول مرة، حيث كان أول منتج رئيس من هوليوود يتخذ مثل هذه الخطوة، وكان العرض الذي يستضيفه ديزني يستعمل الرسوم المتحركة وأفلامًا من الطبيعة، واجتذب سحر عرض ديزني المعجبين إلى الشاشة الصغيرة، وفي موسمه الأول، كان أمرًا مثيرًا للدهشة أن يحصل العرض على تصنيف (41) على مقياس نيلسون، الأمر الذي كان يعني أن (30,8) مليونًا من أصل (75) مليون مشاهد محتمل شاهدوا العرض، وفي السنة اللاحقة، ابتكر ديزني (نادي ميكي ماوس)، وهو ظاهرة تلفازية جديدة كانت تخاطب الأطفال والمراهقين على السواء، وفي أوج شعبية

العرض في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، ارتفعت مبيعات آذان ميكي ماوس إلى معدل (25,000) مجموعة في اليوم.

مملكة السحر:
انغماس كامل في عالم الخيال

في كل شيء قام به ديزني كان يقدم قطعة من عالم الخيال الخاص به إلى الجمهور، غير أنه كان يبحث عن طريقة يعبر فيها حقيقةً عن نظرته إلى الحياة، وفي محاولة جريئة لمغادرة نمط الترفيه المبني على وسائل الإعلام، كان لديه التصميم على بناء حديقة للملاهي؛ لقد استشف الفكرة عندما كان يراقب طفلتيه وهما تلعبان دوامة الخيل، ويستذكر في هذا الشأن قائلًا: «لقد شعرت أنه يجب أن يبنى شيء ما، نوع من متنزهات العائلات، حيث يستطيع أولياء الأمور والأطفال التسلية معًا». وفي مذكرة كتبها عام (1948م)، وصف ديزني توقعاته بشأن حديقة ميكي ماوس. وبعد أن كلف معهد ستانفورد للبحوث بإجراء دراسة حول الهيكل المثالي للحديقة، اشترى ستين هكتارًا من بساتين البرتقال في أناهايم، على بُعد (25) ميلًا جنوب لوس أنجلوس بالقرب من الطريق السريع سانتا أنا، تردد أستوديو ديزني الذي كان يشرف عليه جزئيًّا روي وعدد آخر من أصحاب المصلحة، في التعاون في بناء المشروع ولذلك قام والت بإنشاء شركة مستقلة لتخطيط شركة والت ديزني وإنفاق مدخرات العمر في إطلاقها.

مرة أخرى كانت رؤية والت ديزني تسبق الحس التجاري لزملائه في هوليوود، فوجد أن من الصعب عليه أن يجد داعمين لهذا المشروع الذي قدرت تكاليفه بخمسة ملايين دولار، وسيكلف في نهاية الأمر (17) مليون دولار؛ قال ديزني: «لقد كان من الصعب لأي شخص أن يتصور ما الذي كان يدور في عقلي؛ أردت أن أفعل الأشياء الأساسية التي تقوم بها حدائق الترفيه جميعها، ولكن بطريقة جديدة». وبوصفه جزءًا من العقد التلفازي وافقت شبكة إيه.بي.سي على استثمار (500,000) دولار، ولكن حصلت على حصة مقدارها (35) بالمئة في الشركة مقابل ذلك.

وفيما أخذت ديزني لاند تتبلور، بدأت الشركات تدرك الإمكانات التجارية لحديقة الملاهي، ودفعت نقودًا إما للحصول على امتيازات فيها بحيث تستطيع بيع منتجاتها، وإما لضمان ربط أسمائها بوسائط تمتطيها لأغراض العلاقات العامة، وكانت هذه النقود ضرورية؛ لأن تكاليف بناء الحديقة كانت تتجاوز الميزانية المعدة لذلك، وقد شكل افتتاح مدينة الأحلام في (17) يوليو/تموز من عام (1955م) بتغطية تلفازية كاملة حدثًا مثيرًا، فقد بلغ عدد الزوار في الأسبوع الأول، (17,000)، كانوا يدفعون رسم دخول مقداره دولار واحد للبافعين وخمسون سنتًا للأطفال.

كانت ديزني لاند تشكل أكبر مجمع للترفيه في البلاد؛ حيث كانت تقدم للأمريكيين أول تجربة في بيئة ترفيهية متكاملة، والأهم من ذلك أنها كانت تقدم حالة عرض تفاعلي للابتكارات بأكملها التي قام بها ديزني خلال السنوات الثلاثين الماضية، وكان في وسع الزوار التجول نزولًا في الشارع الرئيس، والتوقف مع ممثلين يرتدون ألبسة ميكي ماوس وميني ماوس، والتجول خلال مجسم لقلعة الجميلة النائمة. وأقسام مثل فرونتيير لاند كانت تردد أفكارًا من البرامج التلفازية، واحتوت على عشرات الوسائط، فيما وفَّر قسم أدفينشر لاند رحلة بحرية إلى الأدغال، أما قسم تومورو لاند فعرض ركوبات تحاكي الرحلات إلى القمر، وعلى نحو يشبه أفلام الرسوم المتحركة التي ابتكرها ديزني، فإن الحديقة الصديقة للعائلة هدفت إلى الاقتراب ما أمكن من الحقيقة، وبالفعل فقد كانت أعجوبة من المظاهر الأصيلة.

لقد افتتح ملاذ العائلات الذي ابتكره ديزني في الوقت المناسب تمامًا، وكانت أمريكا في خضم طفرة إنجاب، حيث ولد في الولايات المتحدة (76,4) مليون طفل بين عامي (1946م) و (1964م)، وكانت جحافل منهم؛ نحو (10,000) يوميًّا، تتدفق إلى ديزني لاند مع آبائهم وأمهاتهم، وبوصول الزائر رقم عشرة ملايين في آخر يوم من عام (1957م)، كان زائر اليوم العادي يصرف (2,7) دولار للدخول والركوب، ودولارين على الطعام و(18) سنتًا على الهدايا التذكارية؛ لقد ترجمت هذه الأرقام إلى أرباح تثير الدهشة، فيما كان عالم ديزني الصناعي يتخطى بسرعة عجائب أمريكا الطبيعية بوصفه وجهة سياحية، وفي عام (1959م) اجتذبت ديزني لاند خمسة ملايين شخص- أكثر من جراند كانيون، يلوستون وحدائق يوسمايت الوطنية مجتمعة، وقد امتد اجتذاب ديزني لاند إلى خارج حدود أمريكا أيضًا؛ ففي أثناء

زيارته المشهورة للولايات المتحدة في عام (1959م)، استشاط رئيس الوزراء السوفياتي نيكيتا خروشوف غضبًا عندما ألغت وزارة الخارجية زيارته إلى ديزني لاند لأسباب أمنية.

تكامل إمبراطورية
(اجعله يعتقد أن الخيال أفضل من الواقع)

عن طريق بيع الشخصيات نفسها بطرق متعددة، تمكنت شركة ديزني للإنتاج من تحقيق أرباح في كل سنة من سني الخمسينيات، وبحلول عام (1962م)، عندما كانت شركة والت ديزني قد أنتجت أكثر من (500) عرض تلفازي، وكانت حديقة الملاهي قد حققت نجاحًا كبيرًا، قال مؤسسها الهرم: «مشروعنا لا يزال ينتج صورًا متحركة». غير أن ذلك لم يكن صحيحًا تمامًا؛ إذ إن الأفلام التي كان ينتجها مصنعه لم تكن سوى بداية عملية تسويقية متكاملة نجح ديزني في توسيعها بذكاء على مر السنين، ولكل إضافة جديدة إلى عائلة ديزني كان هناك تأثير مضاعف في ميادين متعددة؛ على سبيل المثال في عام (1962م) كان الأستوديو يتأهب لإطلاق قصة جديدة بالرسوم المتحركة بعنوان السيف في الصخر تعتمد على أسطورة الملك آرثر، وفي معرض الحملة التسويقية، منح ديزني تراخيص لناشرين لإنتاج رسوم هزلية، وكتب مجلدة تعتمد على الفيلم، وأُطلقت أيضًا أغاني من المسرحية الموسيقية في تسجيلات بيعت على صورة مطبوعات موسيقية، وكافح أكثر من مئة من حاملي التراخيص من خلال مصانع تنتشر في أنحاء البلاد كلها لإقحام تأثير سيوف الملك آرثر والمنتجات الأخرى التي كانت تعتمد على الفيلم، بالإضافة إلى أن ديزني تأكد من أن الفيلم يُطلق من خلال قنواته التجارية جميعها، إذ نشر إعلانات في أثناء عروضه التلفازية، وعن طريق المهارة في التعبئة والتغليف وإعادة التعبئة والتغليف للمواد الأصلية، تمكنت شركة والت ديزني من التحول إلى عملاق يتغلغل في مختلف الاتجاهات، حيث كان نصف إيراداتها تقريبًا يأتي من الرسوم المتحركة وثلثها يأتي من ديزني لاند، فيما كان مصدر (5) بالمئة من إيراداتها هو التلفاز وبقية الإيرادات كان مصدرها التراخيص التجارية، زد على ذلك أن شركة ديزني للإنتاج حصلت

علـى حصة نسـبتها الثلث في ديزني لاند قبل افتتـاح الحديقة، وما لبثت بعد ذلك بوقت قصير أن استحوذت عليها كاملةً.

هنالك مشروعان جذبا اهتمام والت ديزني في السنوات الأخيرة من حياته؛ فعندما اشتكى النقاد في السـنوات الأولى من السـتينيات من أن أفلام ديزني بدأت تفقد جودتها العالية، من خلال الأفلام ذات البعد الواحد مثل السيف في الصخر والأستاذ غائب الذهن، أشرف ديزني شخصيًّا على فيلم ماري بوبنز عام (1964م)، وكان يراقب كل ناحية من الفيلم، حيث جاءت ضربة الفوز بالجائزة كإحدى إنجازات مسيرته المتميزة.

أمـا المشـروع الثاني فقد انطوى على اسـتهلاك أكبر للوقت، وبالرغم مـن أن (50) مليون شـخص تقريبًا كانوا قد زاروا ديزني لاند بحلول عام (1965م)، إلا أن ديزني لم يكن راضيًا؛ إذ كان يفضل أن يقول: «لن تكتمل ديزني لاند أبدًا ما بقي هناك خيال في هذا العالم». وبصفته الداعـم الرئيس لديـزني لاند، كان والت يشـعر بالإحباط لمجـرد أن غالبيـة الأمريكيين الذين يعيشـون في الشـرق، لم يكونوا يتمتعون بسـهولة الدخول إليها، وفي محاولة منه لتوسـيع وصول النـاس إلـى إمبراطوريتـه، بـدأ في عـام (1958م) بالتخطيط لإنشـاء ديزني العالميـة، واختار موقعًـا في عـام (1965م)، واشـترى (27,000) هكتـار مـن الأرض خـارج أورلانـدو، فلوريدا، بتكلفة خمسـة ملايين دولار، وكانت أرض المسـتنقعات هذه الواقعة في وسـط الولاية، سـتصبح موقعًا للحديقة الجديدة التي أصبحت بحق أرض المستقبل للترفيه العائلي، وأعلن ديزني «أنها أكـبر مشـروع متكامـل قمنا بإنشـائه خلال (42) عامًا، ونحن نريد شـيئًا تعليميًّا، شـيئًا يجمع شـمل العائلـة ويكون رصيدًا للمجتمع، وللبلاد على نحو أعـم». ولم تكن الحديقة الجديدة التي كلفت (400) مليون دولار وافتتحت عام (1971م)، مجرد نسـخة عن ديزني لاند في السـاحل الشرقي؛كان الطموح بأن تشكل الحديقة الجديدة نموذجًا لتخطيط المدن يضم في موقع واحد منتجعات وفنادق، وفي نهاية المطاف مركزًا لنماذج تجريبية لمجتمعات مستقبلية (اي.بي.سي. أو.تي.)؛ وهي بيئة تعليمية مستقبلية تعرض أجنحة تمثل بلدانًا مختلفة.

لم يطـل العمـر بوالت ديزني حتى يرى اكتمال ديزني العالميـة (أو والت ديزني العالمية، كما أعيـدت تسـميتها رسـميًّا تخليـدًا لذكـراه). وبعد أن عانى سـرطان الرئة، توفي عـن عمر ناهز

الخامسة والستين عامًا في (15) ديسمبر/كانون الأول من سنة (1966م). ترك وراءه شركة هي تمثال له، وهي شركة أصبحت جزءًا لا يتجزأ من العائلة الأمريكية.

انبثقت ابتكارات ديزني في الرسوم المتحركة والنشاط التجاري من الحالة النزقة نفسها التي اصطبغت بها شخصيته، وقال قبل شهرين من وفاته لدى استلامه جائزة رجل الاستعراض السنوية: «أنا رجل تجارب بالفطرة، وحتى هذا اليوم، أنا لا أؤمن بالتتمات».

العرض المستمر

قبل مجيء استئجار الفيديو، كانت معظم الأفلام تعرض مرة واحدة ثم تودع في المخازن؛ لقد حققت الأستوديوهات نجاحات كبيرة بالعودة إلى دور السينما التي قامت بالعرض الأول للأفلام، كما حدث مع ذهب مع الريح، غير أن الثروة الحقيقية كانت تأتي من العرض الأول.

مع ذلك، لم يمر وقت طويل حتى أدرك ديزني أن الأجيال المتعاقبة قد تعيد اكتشاف الأفلام العائلية، كما لو كانت جديدة، وفي ما يتعلق بجمهور الرسوم المتحركة، فقد أسس (جيلًا) قوامه سبع سنوات تقريبًا.

في عرضه الأول عام (1937م)، فاقت إيرادات فيلم الثلج الأبيض تكلفته؛ حيث بلغت (8,5) مليون دولار، غير أن ذلك كان مجرد البداية؛ ففي الولايات المتحدة فقط عُرِض الفيلم ست مرات بحلول عام (1993م)، وبالنظر إلى أنه ترجم إلى عشر لغات ووزِّع في (46) بلدًا، فقد بلغت إيراداته (100) مليون دولار، أما فيلم فانتازيا الذي بالكاد غطى تكلفته في العرض الأول عام (1940م)، فقد وزِّع على نحو واسع في الستينيات من القرن العشرين وفي نهاية الأمر حقق النجاح، وكانت آخر مرة عرض فيها الفيلم في عام (1990م)، في ذكراه الخمسين، وعن

طريق سـيطرتها على العناوين وضعت شركة والت ديزني أيضًا سياسة فريدة في نوعها بشـأن مبيعات الفيديو، وهي: عرض الأفلام في السوق لأوقات محدودة فقط لابتكار موجة من الإثارة الشرائية تكرر نفسها في أوقات عرض مماثلة في المسـتقبل، وكان من شأن الفيديو أن يعزز قناعة والت ديزني القديمة بأن الرسـوم المتحركة قد تنطوي على حياة تجارية أكثر ثراء من مثيلاتها التي تتكون من لحم ودم؛ أي إن الرسوم المتحركة لا تشيخ ونجومها لا يهرمون أو يتقاعدون.

forbes
obeikandl.com